Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لإشبيلية بعده فى بيت واحد من الشعر ، انطوى على مبالغة مقبولة : الأرض بعدهم أقفرت والناس قد ماتوا :

لكىٍّ شىءٍ من الأرض ميقاتُ وللمنى فى مناياهن غاياتُ
والدهرُ فى صفة الحرباء منغمسٌ ألوانُ حالاته فيها استحالات
ونحن من لُعَبِ الشطرنج فى يده وطالما قُمرتْ بالبيدقِ الشاةُ
انفض يديك من الدنيا وزينتها فالأرضُ قد اقفرتْ والناس قد ماتوا
وقل لعالمها الأرضىّ قد كتمتْ سريرةَ العالم العُلْوى أغمات

●

وفى عام ٤٨٨ هـ = ١٠٦٥ م ، تُوفى المعتمد بأغمات ، ووارى التراب هناك ، ونودى فى الدعاء للصلاة على جنازته : « الصلاة على الغريب » ، وبعد أيام وافى قبره شاعره المخلص **أبو بحر ابن عبد الصمد** ، « فلما كان يوم العيد وانتشر الناس ضحىً ، وظهر كل متوارٍ وضحا ، قام على قبره عند انفصالهم من مصلاهم واختيالهم بزينتهم وحلاهم ، وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخر على ترابه ولثمه :

ملكَ الملوكِ أسامعٌ فأنادى أم قد عدتك عن السماع عوادى
لما خلتْ منكَ القصور فلم تكنْ فيها كما قد كنت فى الأعياد
قبَّلتُ فى هذا الثرى لك خاضعًا وتخذتُ قبركَ موضع الإنشاد

وهى قصيدة أطال إنشادها ، فبكى وأبكى ، « وهذه نهاية كل عيش ، وغاية كل ملك وجيش ، والأيام لا تدع حيًا ، ولا تألوا كل نشر طيا ، تطرق رزاياها كل سمع ، وتفرق مناياها كل جمع » . ومع ذلك بقيت مأساة المعتمد وإباؤه حية فى وجدان الأدب العربى ، لم يقترب منها النسيان لحظة ، يرتادها القاص ، والشاعر والمؤرخ والمتذوق ، يستلهمها إبداعًا ، أو يذرف عليها دمعًا ، أو يتخذها وثيقة ، أو يتخذ منها محورًا لرواية تدور حول أحداثها .

ونسى التاريخ بقية الملوك والطغاة ! .